

# دراسات

مجلة نصف سنوية محكمة تعنى بالدراسات والأبحاث  
تصدر عن اتحاد كتاب وأدباء الإمارات - العدد الثالث - السنة الثانية / 1991



## المشاركون في هذا العدد

الدكتور زكريا بشير امام

الدكتور علوي الهاشمي

الدكتور عادل جميل أحمد عبد الله

الدكتور عبد الله جمعة الحاج

الدكتور عبد الستار العزاوي

الدكتور باقر النجار

أحمد صالح رابضة

عبد الفتاح صبري

## ■ دراسات

- المقومات الأساسية للهوية

7 د. زكريا بشير إمام

- أسطورة ثا عشتار - تموز

35 د. علوي الهاشمي

- الأسرة في شعر

61 د. عادل جميل احمد عبد الله

- المعضلة السياسية للدولة

85 د. عبدالله جمعة الحاج

- في الوطن العربي

## ■ مقالات في التاريخ والتراث

- المدخل، عنصر معماري

121 د. عبدالستار العزاوي

- للبيوت التراثية في الشارقة

- فن الهندسة المعمارية

131 أحمد صالح رابضة

- عند اليمنيين

## ■ آراء وأفكار

- سوسبولوجيا الجامعة

143 د. باقر النجار

- في الخليج العربي

155 عبدالفتاح صبري

- الغزو الثقافي الفرنسي

## ■ تقارير

165 عبدالإله عبدالقادر

- ندوة الثقافة بوصفها تعبيراً

## فن

### الهندسة المعمارية عند اليمنيين

احمد صالح رابضة\*

دراسة في أحد النماذج التاريخية المتميزة:

ليس من الغلو القول ان فن الهندسة المعمارية في اليمن قد بلغ مبلغاً جعله يباهي فن الهندسة المعمارية في العالم القديم ، وان تعرضت معظم مآثر اليمن الحضارية الرائعة بصفة خاصة ، للاندثار نتيجة للحرب والدمار والاهمال والجهل ، والتخلف ، كقصر غمدان ، وسد مأرب ، والعاصمة التاريخية بما فيها من مظاهر حضارية لا تقل قيمة عن المظاهر الحضارية الأخرى في العالم القديم وغيرها كثير .

فقد أسهب المؤرخون والدارسون في تناول هذا الفن المعماري الراقى ، وأفاضوا في دراسته إلا أن أحداً لم يفرد له دراسة منفصلة ، وذكروا نماذج مختلفة منه ، منها قصر غمدان الذي كان ممتداً من شرق الجامع الكبير بصنعاء إلى حد مسجد الحميدي كما يقول السياغي<sup>(1)</sup> ويتكون من عشرين طابقاً ، ولعل أبرز ما يميزه تلك الرخامة البديعة التي تغطي سطحه ، وتمائيله من الأسود النحاسية الرائعة التي تزار كلما هبت الرياح .

أما مسجد الجامع الكبير الذي حل محله الآن على الأرجح فهو الآخر من المآثر البديعة ، إذ يقف على اسطوانات تعود إلى العصور الحميرية ، وقد زخرفت سقوفه ورصعت بالفسيفساء .

ومن المآثر التي تقف على اسطوانات وأعمدة ، بديعة الشكل ، محرم بلقيس ، ( معبد الإله المقه ) حيث يرى بعض الدارسين<sup>(2)</sup> ان أعمدته تشبه أعمدة جامعة موسكو مع الفارق بين الأثرين فمحرم بلقيس كان قائماً قبل ثلاثة آلاف سنة بينما شيدت جامعة موسكو حديثاً ، هذا إلى جانب القصور العظيمة التي اندثرت كقصر ريدان ، وناعط ، وساحين ، وذي ريدان وهو

الذي قال فيه علقمة :

ومصنعه بذى ريدان أست باعلى فرع متلفه حلق (١)

والسدود العظيمة كسد الخانق ، وسد مارب العظيم الذي يقدر أنه بني في الألف الأول قبل الميلاد ، أو بين 800 - 900 قبل الميلاد كما يرى بعض الدارسين (٢) وهو آية في الروعة ودقة البناء والمتانة ، وصهاريج عدن التاريخية (٣) وحصن الغراب ، والمباني التاريخية القديمة في دار العرائش بمحافظة لحج ، والقلاع التاريخية المنتشرة على الجبال ، والطرق ، والأنفاق التي شقت في بطون الجبال والأودية الوعرة ، كل ذلك يدل على تطور ورقي فن الهندسة المعمارية في اليمن ، مع ما في هذه النماذج من قصور وإيجاز .

وقد أكدت معظم الدراسات الميدانية التي أجراها خبراء الآثار والمعالم التاريخية على دقة بناء وتشيد هذه المآثر ، بحيث أجمعوا على أن بناء هذه المآثر يمتلكون قدرات علمية غاية في الدقة ، فهم على دراية بأساليب البناء الحديثة من اختيار المواد والمكونات لهذه المآثر أو تلك ، ومعرفة تسرب الرطوبة أو المياه الجوفية إليها - إن وجدت - وتحديد الموضع المناسب للبناء ، ولعل الدارس الحصيف يستطيع تبين ذلك من خلال معاينة وضعية المآثر التاريخية على الواقع .

**الطرق والأنفاق كشكل من أشكال فن الهندسة المعمارية في بلادنا :**

ومن المآثر ذات الصلة المباشرة بموضوعنا ، الطرق والأنفاق القديمة التي لا تخلو منها معظم جبالنا ، فقد أشارت النقوش إلى فتح بعض الأنفاق والثغرات في جبال قتبان الواقعة في حدود بيحان حالياً ، وذلك في عهد مكرب قتبان يدع اب ذبيان المعروف بجهوده الجبارة في البناء والتعمير وبخاصة في ما يتعلق بشق الأنفاق ورصف الطرق وبناء المعابد ، وقد شق في عهده ممر مبلقة أو مابلق بين وادي بيحان ووادي حريب الذي شاهده ويندل فيلبس (٤) أثناء تجواله في بيحان وقال واصفاً الممر : ( هو عبارة عن طريق صناعية شقها الإنسان لتصل بين وادي بيحان ووادي حريب فعلى امتداد هذا الممر ويبلغ ثلاثة أميال ترتفع جدرانها إلى مسافة ألف قدم في انحناءات خطيرة - أما طريق الممر فيتراوح عرضها ما بين خمسة عشر قدماً واثنى عشر قدماً ، ويمكن القول ان شق هذا الممر من الأعمال الجبارة ويشبه شق نفق ببلطة لتكسير الثلج (٥) وقد أشرف على هذه الأعمال كبير مهندسي قتبان أوس عم بن يصرعم (٦) المعروف بدرايته في هندسة الطرق وشق الأنفاق .

**باب البر وكيفية تشييده :**

ولسنا نعدو الحقيقة لو قلنا ان باب عدن هو واحد من هذه الأعمال الجبارة وان أغفله أو كاد بعض الدارسين المحدثين كالأستاذ الباحثة حمزة لقمان ، والتيس أو كاد على البعض الآخر ممن وقفنا على مؤلفاتهم ، حيث لم يتمكنوا من تحديد موضعه فوقعوا في خلط فظنوه باب الزيادة المعروف الآن بالعقبة .

والحقيقة أن معظم المصادر التي وقفنا عليها لم تحدد مكان الباب ، بيد أن الروايات التي تشير بين الحين والآخر إلى المواقع التاريخية التي جرت فيها بعض الحوادث المهمة كقربة المباءة ، أكدت لنا صحة ما ذهبنا إليه . وباب البر ليس هو الباب الوحيد لمدينة عدن فثمة قرابة تسعة أو ثمانية أبواب للمدينة ستة منها كانت مركبة في سور عدن التاريخي الممتد من جبل الخضراء وحتى جبل المنظر ، وتبدو جلية في الرسم البرتغالي للمدينة عام 1512 م وقد أصبحت الآن أثراً بعد عين ، والثلاثة الأخرى وهي باب البر وباب البحر وباب الزيادة مازالت في مواضعها السابقة .

### أين يا ترى باب البر الآن؟

في الطريق المؤدية إلى باب الزيادة (العقبة حالياً) في شمال شرقي مدينة عدن ، وبالدات في زقاق قبالة معهد الفنون الجميلة الواقع في شارع أروى بعدن ، ويوجد نفقان كان العامة يطلقون عليهما (البغدة الصغيرة والبغدة الكبيرة) هما المعروفان تاريخياً (باب البر أو باب عدن) .

ولا شك انهما يعتبران وقتذاك الباب الرئيس للمدينة ، وثمة أدلة تؤكد ذلك منها الروايات التي يسوقها المؤرخون والدارسون الأقدمون والمحدثون المتعلقة بأبواب مدينة عدن حيث ذكر الهمداني « أن في المدينة جبلاً لم يكن فيه طريق فقطع ففي الجبل باب الحديد فصار له طريق في البر »<sup>(٩)</sup> . وقال المقدسي ( وقد شق في هذا الجبل طريق في الصخر عجيب وجعل عليه باب حديد ، وحدوا من نحو البحر حائطاً من الجبل إلى الجبل فيه خمسة أبواب )<sup>(١٠)</sup> وبإمعان النظر في هذه الرواية يتبين لنا أن بناء الباب أو أولئك الذين عملوا على شقه في الجبل اختاروا موقعاً مناسباً له ثم مدوا منه أو من موقع قريب منه سوراً أقاموا فيه خمسة أبواب سنأتي على ذكرها بالتفصيل فيما بعد . ولا شك أن الأبواب كلها بما فيها باب البر تمتد في خط واحد من جبل التعكر – حيث الباب الرئيس – وهو جبل محصن وعليه رتبة ، حتى جبل المنظر الواقع في جزيرة صيرة التاريخية ، وتفيد رواية القلقشندي أن ثمة ثقبين في هذا الجبل من طرفيه كالبايين لا ثقباً واحداً<sup>(١١)</sup> ولا ريب أن أحدهما باب البر ، ويعتقد بعض الدارسين اليمنيين أن هذا الباب يشبه ثقب بينون<sup>(١٢)</sup> مما يؤكد أنه نفق لا شخر في الجبل كما يدعي البعض الآخر من الدارسين . ويذكر حمزة لقمان استناداً إلى رواية أغفل مصدرها في معرض حديثه عن باب البر أنه تم قطع في الصخر الأصم في أوطأ جزء من الجبل وأحدث فيه ثقب بالمطارق<sup>(١٣)</sup> وباب البر وحده لا باب الزيادة ، يقع في أوطأ جزء من جبل التعكر وقد شاهده بعض الدارسين عياناً كالأستاذ أحمد الشامي الذي مر من خلاله أثناء تجواله في عدن وقال أن طريقه تقطع صخور الجبل المشرف على الطريق ، وقد اجتزناه صامتين<sup>(١٤)</sup> والصح بول نيزان في كتابه « عدن العربية » إلى أنفاق لم يحدد مواضعها حيث قال وهناك أنفاق سوداء مليئة برائحة النشادر الصادرة عن البراز<sup>(١٥)</sup> ويحتمل أن يكون النفقان حينها قد ملئا بالزباله والقمامة بحيث ظن الرحالة بول نيزان أن رائحة البراز صادرة عنهما ولعله شاهد

انفاقاً أخرى في المدينة نجهلها، ثم عُرف هذان النفقان فيما بعد بباب السقاين على ما يذكر أبو الفداء<sup>(16)</sup> حيث كان الأهالي ينقلون الماء عبرهما وظلا على هذه الحال حتى أوائل عقد الثلاثينات كما تفيد بعض الروايات، ويستشف من هذه التسمية الأخيرة أن ثمة باباً آخر انفتح على مقربة منهما بحيث أصبح الباب الرئيس موضعاً لمرور عربات الماء التي تجرها الدواب، ولا شك أن الباب الجديد هو باب الزيادة طريق العقبة حالياً.

### متى سُق النفق؟

وليس ثمة ما يدعو إلى الشك في أن هذا النفق هو أقدم عمراً من باب الزيادة (العقبة) فقد عادت به الأسطورة إلى أيام شداد بن عاد، وجعلت منه حبساً للمجرمين، ونحن نعلم أن تسرب روح الأسطورة في الغالب الأعم إلى الأخبار والحوادث يدل على أنها تضرب بجذورها إلى القدم، في حين يعده ابن المجاور من مخلفات العصر الأيوبي حيث يرى أن أبا عثمان الزنجبيلي شاده وربما جدده أثناء تشييده لأسوار عدن البحرية<sup>(17)</sup>.

بيد أننا لا نعلم بالتحديد متى سُق ولكن استناداً إلى معطيات النقوش التي أشارت إلى جهود بعض ملوك قتيبان في مجال التعمير والبناء، وشق الأنفاق وتعبيد الطرقات، يخمن الأستاذ حسن صالح شهاب أن النفق سُق في عهد الملك القتباني يدع اب ذبيان بن شهر آخر مكربي قتيبان<sup>(18)</sup> على اعتبار أن حكم القتبانيين امتد حتى باب المنذب، وقد عرف حكام هذا العهد بجهودهم في فن الهندسة المعمارية، وشق الأنفاق، والطرقات وبناء المعابد، وهذا يعني أنه يرجع به إلى مخلفات الحضارة اليمنية القديمة في عدن. ويذهب المذهب نفسه الأستاذ الويسي حيث يرجع به إلى العهد الحميري<sup>(19)</sup>، كما ورد ذكر النفق في المصادر البريطانية عام 1850 م<sup>(20)</sup> وهي السنة التي تم فيها تصفيته وتنظيفه من القمامات، وتراكمات التعرية على الأرجح واستخدامه لمرور عربات نقل الماء التي تجرها الدواب، فقد أفاد الخبير الذي نشرته صحيفة فتاة الجزيرة<sup>(21)</sup> في أوائل عقد الأربعينات أن عبد الحسين عبد العلي جاروالا البهري توفي يوم الأحد 6 ربيع الأول 1940 م وأنه كان مقنطراً عند فتح النفقين المعروفين في عدن قبل تسعين سنة<sup>(22)</sup> ولا شك أن المراد بفتح النفقين هنا أي إزالة القمامات والتراكمات المختلفة منهما واستعمالهما لغرض نقل الماء إلى المدينة.

وتجدر الإشارة أن هذين النفقين ينفذان إلى المنشآت الحديثة في جبل حديد (التعكر) التي انشئت في عهد الإدارة العسكرية البريطانية، وعلى مدخلها يقف حصن التعكر وهو حصن قديم بني هو الآخر لغرض حماية الباب من الغزو الداخلي والخارجي، ويستطيع المرء مشاهدة هذا الحصن حال قدومه إلى خورمكسر ماراً بالطريق الخلفي المحاذي للجبل، ونعتقد استناداً إلى الروايات التي سقناها فيما سلف أن هذا المدخل هو البوابة الرئيسية للمدينة من جهة البحر وهي تقف الآن قبالة ثانوية الجلاء وعلى مقربة من الإدارة العامة للتربية والتعليم بخورمكسر.

وطول النفق كما يقول هنتر 350 ياردة أي حوالي ميل واحد. فيما يرى أحمد السياغي أن

طوله حوالي 300 متر<sup>(21)</sup> مما يؤكد أنه من أقدم وأطول الأنفاق في جنوب الوطن اليمني ان لم يكن في اليمن كله، وقد استخدم الأسلاف في شقه وسائل بدائية كالمطارق، والأزاميل، وهي الوسائل نفسها التي استخدمت في شق اخدود مبلقة في بيجان واحواض خزن المياه (الصهاريج) في عدن والضالع وحضرموت وبيحان، والقصور، والسدود العظيمة، وغيرها من المآثر الخالدة في اليمن، وعلى هذا الأساس فهو أطول من نفق الساحل الذهبي الذي ظن البعض انه أول نفق من نوعه في بلادنا والذي يبلغ طوله 141,5 متر وعرضه 9,4 متر وارتفاعه 17,3 متر<sup>(22)</sup> على الرغم من البعد الزمني الذي يفصل بينهما، وحادثة وسائل البناء والتشييد، ووسائل شق الأنفاق في عصرنا الحاضر بالنظر إلى الوسائل المستخدمة قديماً.

وظل النفق مفتوحاً حتى أوائل عقد الثلاثينات غير انه اقتصر على مرور عربات نقل الماء إلى المدينة، ولما تم توسيع الثلثة (باب الزيادة) أو باب العقبة قامت الإدارة العسكرية البريطانية بإغلاقه واستخدامه لخبز الأسلحة ثم أصبح بعد ذلك نسياً منسياً، فلم يرد ذكره في الدراسات الحديثة، على قلتها التي تناولت معالمنا التاريخية والأثرية، بالدرس والتقصي والتحقيق كالتقارير العلمية والدراسات الميدانية التي يقوم باعدادها الخبراء، والاختصاصيون في المعالم التاريخية والأثرية.

### الحوادث التي جرت على مقربة من الباب:

وهناك أدلة أخرى تؤكد أن هذا النفق هو باب عدن الرئيس، وهي الأدلة المتعلقة بالمواقع الجغرافية والحوادث التي جرت فيها، وقرب هذه المواقع أو تلك من الباب، فبإمعان النظر في هذه المواقع الجغرافية التي كانت تقوم في هذه الأماكن يتضح جلياً أن ثمة حصناً - كنا قد أشرنا إليه فيما سبق - كان يقف على قمة جبل التعكر، هذا الحصن كثيراً ما يرد ذكره في سياق الحوادث، والمعارك التي تحدث عند الباب بين الفئات المتناحرة، فقد ذكر صاحب تاريخ الدولة الرسولية - وهو مؤرخ أو كاتب مجهول - أن علي بن صلاح أوعز إلى أحد حلفائه بمعالجة الباب وفتحه فقتله جند الحصن بصخرة هضمته على حد تعبيره.

والمستفاد من الروايات التاريخية المختلفة ان هذا الحصن يقف هو الآخر إلى جانب حصون أخرى تمتد حتى الجبل الأخضر، الذي يكاد أن يكون امتداداً للتعكر في بعض جهاته وهذا الجبل الأخير يمتد من محطة خورمكسر حتى المحكمة الجزئية بـعدن، وكان يقوم عليه هو الآخر حصن يسمى حصن الخضراء.

ذكر الخزرجي في العقود<sup>(23)</sup> ان السلطان المجاهد الرسولي هاجم عدن وفتح باب المدينة وبات في التعكر ثم نزل من التعكر وسار إلى الخضراء على طريق الدرب. وتفيد رواية أخرى ساقها المؤرخ الطيب بامخرمة أن قرية تسمى المباءة كانت تقوم على مقربة من الباب وذكر أن بينها وبين عدن ربع فرسخ<sup>(24)</sup> وانها خربت في عهده حيث أطلق عليها البحر حتى غمرها في حين يرى الأستاذ حسن شهاب أن القرية تقع أسفل الجبل الذي حفر فيه النفق<sup>(25)</sup> وهذا

يدعم الرواية التي نقلها المؤرخ محمد بن عمر بافقيه والمعروف بالشحري من مصدر ما لم يحدده. والتي تغيد أن ماء البحر طلع إلى فوق درج باب المدينة ربما على إثر عاصفة أو اضطراب في الأجواء والطقس، وليس ثمة باباً آخر - باستثناء أبواب السور - غير باب البر - النفق - يمكن لأمواج البحر أن ترتطم به أثناء المد الشديد أو العواصف العاتية.

قد يبدو هذا الكلام عريباً أو يكتنفه الغموض بعض الشيء، إذ كيف ترتطم أمواج البحر بباب البر؟ وهناك أبواب بحرية كانت قائمة على مقربة من البحر كباب البحر المعروف بباب حقات لم يذكر المؤرخون أن ماء البحر تجاوزه أو غمره، ولمزيد من الوضوح ينبغي أن نعرف هنا أن ثمة ثقبين أساسيين في السلسلة الجبلية المحاطة بمدينة عدن أحدهما يسمى باب البحر - حقات - والآخر باب البر، والآخر هو باب الزيادة على أغلب الظن كما يجمع المؤرخون<sup>(٩٩)</sup> وبعد المعاينة تبين لنا أن باب حقات يقف على تلة مثل باب الزيادة، ولهذا لا يصل إليه ماء البحر أثناء المد، أما النفق / الباب الرئيس للمدينة كما نعتقد فيقع أسفل الجبل في أوطأ جزء منه كما ألمح بعض المؤرخين والدارسين<sup>(١٠٠)</sup> وينفذ من جهة البحر إلى شارع أروي، ولهذا فهو أكثر عرضة لمياه البحر.

#### الحوادث التي جرت في هذا الموضع:

جرت عدة معارك، ومناوشات بين الفئات المتناحرة في سبيل السيطرة على المدينة وذلك على مقربة من الباب أو في قرية المباءة نفسها، وكلها تؤكد صحة ما نميل إلى ترجيحه في هذا الصدد من ناحية، ومن ناحية أخرى تؤكد أن المدينة كانت محصنة من البر والبحر معاً على الرغم من تواطؤ بعض الفئات المناهضة لهذا الحكم أو ذلك مع القوى الغازية التي كثيراً ما تستغل التناحر الداخلي بين الفئات الحاكمة، روى الخزرجي في مواضع من كتابه العقود، أن بعض القوى الغازية غالباً ما تتواطأ مع جند الحصن - حصن التعكر - ومع غيرهم من الجند المناوئين للحكم، فيهيئون لهم تسلق جبل التعكر، وبذلك يحتلون المدينة، ولكن هذا لا يحدث إلا فيما ندر إذ تؤكد الروايات أن الحراسة كانت شديدة على الباب، وغالباً ما تنهزم القوى الغازية، وذكر الخزرجي أن الملك المظفر الرسولي خالف أمر أبيه المجاهد فأرسل مجموعة من العقارب<sup>(١٠١)</sup> إلى الباب على أن يلحق بهم، فتوجس الجند منهم فطردوهم فلم ينظروا فأغلقوا باب المدينة، وحينها توصل المظفر وجرت بين الفئتين معركة اندحرت فيها فلول المظفر<sup>(١٠٢)</sup>.

ويروى أن المجاهد الرسولي - أثناء الحروب الأهلية بين الرسولين أنفسهم - غزا المباءة وكان فيها عسكر من قبل الظاهر، فانهزم العسكر الظاهري في الجولة الأولى، ثم جرت معركة أخرى انهزم فيها عسكر المجاهد إلى جبل حديد - التعكر - في الجولة الثانية وقد تجرى المعارك في قرية المباءة نفسها ففي سنة 725 هجرية 1325 م هاجم المجاهد الرسولي عدن بمجموعة من المعاليك والشفالية، وتوقف في مسجد قرية المباءة فخرج أهل عدن لقتاله، وجرت بينهما معركة أودت بعدد من رجاله ولان البقية بالفرار<sup>(١٠٣)</sup>.



ويستخدم العدو المهاجم في كثير من الأحيان وسائل أخرى للاستيلاء على المدينة كالسلاالم والحبال . روى ابن البديع انه في العاشر من رمضان هاجم عبد الباقي بن محمد بن طاهر عدن وفيها الشيخ محمد بن عبد الملك ، وأحضر معه نحو مئة سلم ، والتقت الفئتان عند جبل حديد ، وجرت بينهما معركة لم يتمكن فيها عبد الباقي من احتلال عدن (١٤) .

كما تفيد رواية أخرى ان علي بن طاهر استولى على عدن مع طائفة من عسكره عن طريق تسلق جبل التعكر بالحبال سنة 858 هجرية 1454 م فاحتل حصن التعكر سنة 858 هجرية - وحينها كانت عدن في قبضة المؤيد الحسن الرسولي ، وقبض على المؤيد ، ودخل أخوه عامر بن طاهر من باب عدن مع بقية العسكر (١٥) .

إن مجمل هذه الروايات يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن باب عدن الرئيس هو الواقع أمام قرية المباءة ، حيث تعد هذه القرية مكاناً للتبؤ والاقامة إلى أن يتكامل بقية الرفقة القادمين تبعاً لمواصلة السير إلى المدينة (١٦) كما يرسم لنا صورة لا بأس بها عن تحصينات المدينة من ناحية البر ، فهي توحى بأن الباب ، حديدي ، محكم الاغلاق وان رتبة الباب ، وحصن التعكر على قدر من الكفاءة والقدرة على صد هجمات الأعداء (١٧) . فقد تبين لنا انه كلما هاجمت الباب مجموعة أو قوة دحرت في الحال - في الغالب الأعم - كما ترابط في كثير من الأحيان وحدات عسكرية في قرية المباءة لحماية المدينة .

### باب الزيادة (العقبة) :

أما بالنسبة لباب الزيادة (العقبة) فهو الآخر يقع على مقربة من باب عدن الرئيس ، ولعله في أول أمره كان بمثابة ثلثة في الجبل قام الرسوليون (١٧) بتوسيعها ثم جاء العثمانيون إبان احتلالهم الأول لليمن وزادوا في التوسعة بحيث غدت طريقاً لمرور مركبات النقل المختلفة المعروفة وقتذاك ، كما زادوا في احكامه فأقاموا فيه ثلاثة أبواب على ما يذكر بعض الدارسين .

وفي العصر الحديث قام المستعمرون البريطانيون بزيادة في توسعته بحيث صار يتسع لعربتين ، وقاموا برصفه بالإسفلت ، وأحدثوا فيه تحسينات أخرى ، وعلى الرغم من أن الأستاذ البحائة حمزة لقمان قد أغفل ذكر النفق أو كاد فإنه ينقل رواية يسندها إلى المؤرخ الهمداني تفيد بأن الباب شق في أوطأ جزء من الجبل ، وهو ما ينطبق تماماً على موضع باب عدن الرئيس (النفق) فإنه يذهب إلى الاعتقاد أيضاً بأن باب عدن هو باب الزيادة أو العقبة ، كما يؤكد انه كان موجوداً منذ ألف سنة (١٨) هذا في حين لم يرد ذكر العقبة - باب الزيادة - في تاريخ شجر عدن لأبي مخرمة المتوفى سنة 947 هجرية 1541 م مما يثبت انها شقت في عهده (١٩) .

وكيفما كان الحال فباب الزيادة العقبة هو أحد أبواب مدينة عدن بيد انه باب ثانوي لا رئيس شق في وقت متأخر ، وكان منذ زمن بعيد عبارة عن ثلثة في جبل التعكر لا نعرف

بالتحديد متى شقت هي الأخرى ، وقد تنبه لأهميتها الرسوليون فوسعوها ، وبما أنها كانت في منتصف الجبل أو على تلة منه فقد يصعب على عربات النقل التي تجرها الدواب اجتيازها ، ولهذا استعمل الأهالي النفق ، وظل مستعملاً حتى أوائل عقد الثلاثينات ، ثم أغلقه المستعمرون البريطانيون ، وتحولت وسائل النقل من عربات وسيارات ذات أحجام مختلفة إلى العربة ، وبالتالي برزت أهمية العربة – باب الزيادة – وانطمت معالم النفق أو كادت أو بكلام آخر تلاشت من الأذهان فظن العامة وبعض من الخاصة بأن العربة هي باب عدن الرئيس والحقيقة غير ذلك كما أوضحنا .

### باب حقات :

ومن الأبواب البحرية باب البحر المعروف اليوم بباب حقات ويحتمل أن يكون هذا الباب الآخر بمثابة ثلثة تضرب جذورها في القدم ، فقد سبق أن أوردنا رواية ساقها القلقشندي نقلاً عن العبر يقول فيها ( ويحيط بها أي عدن من جهة شمالها على بعد جبل دائر إلى البحر ينقب فيه من طرفيه ثقبان كالبايين بينهما على ظهر الجبل مسيرة أربعة أيام ، وليس لأهلها دخول ولا خروج إلا على هذين الثقبين أو من البحر )<sup>(40)</sup> . مما يثبت أن باب البحر هو مجرد ثقب أو ثلثة في الجبل .

وتجدر الملاحظة هنا أن مؤرخنا أخطأ الصواب وبالمعنى في الغلو حينما حدد السير على ظهر الجبل كله بأربعة أيام ، وبديه أن صاحب العبر استقى روايته من مصدر أغفل ذكره – على عادة كتاب السلف – ويبدو أن هذا الباب كثلثة أو ثقب كان موجوداً أيام بني زريع ، ولما قام الأيوبيون بتسوير مدينة عدن من الجبال أقاموا على الثلثة باباً أطلق عليه باب حقات<sup>(41)</sup> لعل الدول المتعاقبة على اليمن قد شاركت هي الأخرى في توسيعه على مر الزمن ، حتى جاء عهد الاحتلال البريطاني لمدينة عدن فزادت الإدارة العسكرية البريطانية في توسعته حتى صار من حيث اتساعه يشبه عربة عدن ( باب الزيادة ) .

### أبواب سور عدن :

يعزو المؤرخون تطور وازدهار الحياة الاقتصادية والاجتماعية في عدن إلى الأيوبيين وعلى الأخص عهد أبي عثمان الزنجبيلي ، على الرغم من سلبات هذا الوالي وما لحق به من تهم لا تخلو من الصحة<sup>(42)</sup> فقد بنى المساجد والمدارس ، والحمامات ، والميناء القديم ، والدور المشهورة إلى جانب تأسيسه لبعض القرى في عدن كقرية اللخبة التاريخية ( بئر أحمد حالياً )<sup>(43)</sup> والطرق ، والأسواق المسقوفة المعروفة بالقيصارية<sup>(44)</sup> وتوافد الناس في عهده على عدن من كل فج<sup>(45)</sup> فزاد عدد سكانها وازدهرت فيها الحركة التجارية ازدهاراً ملحوظاً ، ولعل أبرز جهوده تشييده لأسوار عدن البحرية التاريخية فقد تنبه آل زريع – في بادئ الأمر – إلى ضرورة تسوير المدينة ، فأقاموا أسواراً ضعيفة سرعان ما تهدمت<sup>(46)</sup> ثم جاء أبو عثمان الزنجبيلي فأعاد بناء السور بشكل محكم بالحجر والجص<sup>(47)</sup> ( دائراً على جبل المنظر إلى آخر جبل العر وركب عليه باب حقات ) ( سالف الذكر ) وأدار سوراً ثانياً على الجبل الأخضر ، وحدّه

من حصن الأخضر إلى التعكر على رؤوس الجبال ، وأدار سوراً على الساحل من الصناعة إلى جبل حقات وركب عليه ستة أبواب باب الصناعة<sup>(١١)</sup> وباب حومد وباب السكة وهما بابين يخرج منهما السيل إذا نزل الغيث بعدن ، وباب الفرضة ومنه تدخل البضائع وتخرج ، وباب مشرف ، وباب حيق ، وبني الفرضة وجعل لها بابين ، ويرى المقدسي - الذي زار عدن - أن أبواب السور خمسة لاستة حيث يقول ( ومدوا - أي أهل عدن - نحو البحر حائطاً من الجبل فيه خمسة أبواب ، وهي الأبواب التي تبدو جلية في الرسم البرتغالي لمدينة عدن عام 1512 م ، بيد أن المرء إذا أمعن النظر في الرسم سيجد أن ثمة بابين فقط يقومان في السور أحدهما باب الفرضة والآخر الباب القريب من جبل النوبة وهو أصغر حجماً منه ، ويقع في أقصى اليسار ، ويحتمل أن يكون الباب الآخر للفرضة كما تشير رواية ابن المجاور. أما الفتحات الأخرى الشبيهة بالأبواب الصغيرة ، فلا شك أنها نوافذ صغيرة أو فتحات للقتال كما هو الحال في قلعة صيرة ، والحصون الأخرى المنتشرة على السلسلة الجبلية بمدينة عدن . ويذهب الأستاذ حسن شهاب إلى الاعتقاد بأن الأبواب الأخرى تقوم في جهات أخرى من الثوب لعل الرسام لم يتمكن من التقاطها . وتؤكد معظم الروايات التي ساقها المؤرخون والدارسون أن المدينة كانت محصنة تحصيناً<sup>(١٢)</sup> من جهة البحر بحيث يصعب احتلالها إلا بعد لأي ومشقة ، ولهذا غالباً ما يستخدم الغزاة السلالم لتسلق السور . يروى أن الأفرنج ( البرتغال ) هاجموا المدينة ، وتسلقوا سورها بالسلالم ودخلوها من عند باب مكسور<sup>(١٣)</sup> ولطه باب السكة ( السيلة ) أو حومة .

وعلى الجملة فقد كانت مدينة عدن محصنة من كل الجهات ، فالجبال والأسوار تحيطان بها إحاطة السوار بالمعصم مما حدا بابن خلدون إلى القول ( إنها من أمنع مدائن اليمن )<sup>(١٤)</sup> .

## المراجع والهوامش

- (١) معالم الآثار اليمنية أحمد السياحي ص 11 - 14 .
- (٢) اليمن وحضارة الإنسان د. عدنان ترسيبي ص 76 .
- (٣) متلفة / الأرض الخالية الواسعة ، حلو / من الأرض مجارياً وأوديتها .
- (٤) اليمن وحضارة الإنسان د. عدنان ترسيبي ص 62 .
- (٥) انظر بحثنا في الحكمة اليمنية العدد 140 يوليو 1987 م .
- (٦) صاحب كتاب كنوز مدينة بلقيس ، أثاري ، قام بعدة حفريات في اليمن في أوائل عقد الستينات .
- (٧) كنوز مدينة بلقيس ويندل فيليب تعريب عمر الديراوي ص 186 - 187 .
- (٨) وفي تاريخ الجنس العربي د. محمد عمزة دروزة ( أوس عم بن نصر ) .
- (٩) صفة جزيرة العرب الهمداني ص 94 ومعجم البلدان / ياقوت الحموي 4/89 .

- (10) أحسن التقاسيم المقتضى ص 85.
- (11) صبح الأعشى القلقشندي 5 / 11.
- (12) معالم الآثار اليمنية السياحي ص 116.
- (13) القلم العدني حمزة لقمان ص 10 متى فتح باب عدن؟
- (14) رياح التغيير في اليمن أحمد الشامي ص 145.
- (15) عدن العربية بول نيزان / ترجمة بشير خان.
- (16) تقويم البلدان أبو الفداء ص 93.
- (17) تاريخ المستنصر ابن المجاور ص 127 وتاريخ ثغر عدن بامخرمة. 47/1 وهدية الزمن / ص 21 وتاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية حمزة لقمان.
- (18) أضواء على تاريخ اليمن البحري حسن صالح شهاب ص 240 - 241.
- (19) اليمن الكبرى الوسي حسين بن علي ص 16.
- (20) تقرير هنتر عن عدن 14 ابريل ص 142.
- (21) فتاة الجزيرة العدد 16 ، 1940.
- (22) المقنطر المتعهد أو المقاول 350 ياردة تساوي 1050 قدماً.
- (23) معالم الآثار اليمنية أحمد السياحي .. لم يشر إلى المصدر الذي استقى منه المعلومة.
- (24) صحيفة 14 أكتوبر العدد 1112 ، 11 يونيو.
- (25) العقود الوثائقية الخزرجي تحقيق الأكوخ محمد علي 48/2:
- (26) تاريخ ثغر عدن الطبعة الثانية 1986 م 18-35 والفرسخ حوالي ثمانية كيلومترات يذكر أيضاً صاحب الفضل العزيز أن عامر عبد الوهاب ابتنى مسجداً بظاهر باب البر، وهو مسجد قرية العبارة.
- (27) أضواء على تاريخ اليمن البحري ص 239.
- (28) تاريخ بافقيه الشجري / محمد بن عمر بافقيه ص 96 ورد الخبر في النور السافر لعبد القادر العيدروس بحذف (باب) بحيث صارت العبارة (طلع ماء البحر إلى درج المدينة).
- (29) صبح الأعشى القلقشندي 5/11 وتاريخ اليمن / عمارة الطبعة الثانية ص 174.
- (30) الصفة الهمداني ص 94.
- (31) قال الهمداني إن قبيلة العقارب تسكن (لحبة) ولعلها بئر أحمد اليوم، وتمتد أرضهم من حوالي بئر أحمد على الحدود مع لحج حتى رأس عمران من ناحية البر من مقربة من قرية الحسوة إلى مقربة من قرية بير فقم من ناحية الساحل انظر تاريخ القبائل اليمنية / حمزة لقمان 51/2 الطبعة الأولى 1985 م.
- (32) العقود الخزرجي 2، 48 - 49 - 103.
- (33) تاريخ عدن وجنوب الجزيرة العربية حمزة لقمان ص 95.
- (34) بقية المستفيد ابن البديع تحقيق يوسف شلحد ص 176.
- (35) تاريخ عدن حمزة لقمان ص 110.
- (36) تاريخ ثغر عدن 18/1.
- (37) روى صاحب العقود الوثائقية في مواضع من كتابه ان من ضمن الامدادات العسكرية التي يقدمها حكام عدن لحلفائهم وقتذاك المنجنقيات مما يؤكد أن بعض حصون عدن الاستراتيجية كانت مزودة بها.
- (38) وردت هذه الاشارة في كتاب تاريخ الدولة الرسولية لمجهول.
- (39) انظر تاريخ عدن حمزة لقمان 303 والقلم العدني عدد 408 عام 1961 ص 10.

- (39) أضواء على تاريخ اليمن البحري ص 239.
- (40) صبح الأعشى 11/5.
- (41) قال بامخرمة في تاريخ ثغر عدن (... وأدار الزنجيلي سواراً دائراً على جبل المنظر إلى آخر جبل العر وركب عليه باب حقات).
- (42) انظر رحلة ابن جبير ص 132.
- (43) تاريخ ثغر عدن 22/1 وتاريخ عدن حمزة لقمان ص 66 - 95.
- (44) تاريخ عدن حمزة لقمان ص 16.
- (45) تاريخ ثغر عدن بامخرمة 10/1.
- (46) تاريخ المستبصر ابن المجاور ص 128 يروي ابن المجاور قصة طريفة في هذا المصدر انظر أيضاً تاريخ ثغر عدن 47/1.
- (47) نفس المصدر ص 128 وتاريخ ثغر عدن 47/1.
- (48) في تاريخ ثغر عدن (باب الصبغة) وكذا هدية الزمن العبدلي ص 21.
- (49) مختصر التاريخ لابن خلدون ص 116 وفن الملاحة عند العرب شهاب ص 48.
- (50) انظر الفضل المزيد / صالحية 261 - 263 ومخطوطة تاريخ سنبل ص 202 حواشي سنة 919.
- (51) مختصر التاريخ ص 116.

مدير المركز اليمني للأبحاث الثقافية والآثار والمتاحف - عدن - جمهورية اليمن